الباب التاسع

في ذكر عدد أبواب الجنة

قال الله تعالى : ﴿ **وسِيقَ الَّذِين اتقَوا ربَّهمْ إلى الجنة زُمَراً حتى إذا جاؤُوها وفُتحتْ أبوابُها وقال لهم خزنتُها سلامٌ عليكم طبتُمْ فادخلُوها خالدينَ** ﴾ [الزمر : ٧٣] وقال في صفة النار ﴿ **حتَّى إذا جاؤُوها فُتحتْ أبوابُها** ﴾ [الزمر : ٧١] بغير واو ، فقالت طائفة : هذه واو الثمانية دخلت في أبواب الجنة ، لكونها ثمانية ، وأبواب النار سبعة ، فلم تدخل الواو .

وهذا قول ضعيف لا دليل عليه، ولا تعرفه العرب ، ولا أئمة العربية ، وإنما هو من استنباط بعض المتأخرين .

وقالت طائفة أخرى : الواو زائدة ، والجواب الفعل الذي بعدها ، كما هو في الآية الثانية ، وهذا أيضاً ضعيف ، فإن زيادة الواو غير معروف في كلامهم ، ولا يليق بأفصح الكلام أن يكون فيه حرف زائد بغير معنى ولا فائدة .

وقالت طائفة ثالثة : الجواب محذوف ، وقوله : ﴿ **وفتحت أبوابها** ﴾ عطف على قوله : جاؤوها . وهذا اختيار أبي عبيدة ، والمبرد ، والزجاج وغيرهم .

قال المبرد : وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم .

قال أبو الفتح بن جني : وأصحابنا يدفعون زيادة الواو ولا يجيزونه ، ويرون أن الجواب محذوف للعلم به .

بقي أن يقال : فما السر في حذف الجواب في آية أهل الجنة ، وذكره في آية أهل النار ؟ فيقال : هذا أبلغ في الموضعين ، فإن الملائكة تسوق أهل النار

إليها ، وأبوابها مغلقة ، حتى إذا وصلوا[1] إليها فتحت في وجوههم ففجأهم العذاب بغتة ، فحين انتهوا إليها ﴿ فتحت أبوابها ﴾ بلا مهلة ، فإن هذا شأنُ الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقيبة ، فإنها دار الإهانة والخزي ، فلم يستأذن لهم في دخولها ، ويطلب إلى خزنتها أن يمكنوهم من الدخول، وأمَّا الجنة فإنها دار الله ، ودار كرامته ، ومحل خواصّه وأوليائه ، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة ، فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ، ويستشفعون إليه بأولي العزم من رسله ، فكلّهم يتأخر عن ذلك ، حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم، فيقول : «أنا لها»: فيأتي إلى تحت العرش ويخر ساجداً لربه ، فيدعه ما شاء أن يدعه ، ثم يأذن له في رفع رأسه، وأن يسأل حاجته ، فيشفع إليه سبحانه في فتح أبوابها فيشفعه ، ويفتحها تعظيماً لخطرها ، وإظهاراً لمنزلة رسوله، وكرامته عليه.

وإن[2] مِثْلَ هذه الدار التي هي دار ملك الملوك رب العالمين ، إنما يُدْخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التي أولها من حين عقل العبد في هذه الدار إلى أن انتهى إليها ، وما ركبه من الأطباق طبقاً بعد طبق ، وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة ، حتى أذن الله [تعالى] لخاتم أنبيائه ورسله ، وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه في فتحها لهم .

وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور ، مِمَّا يقدرُ عليه بخلاف ذلك ، ولئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذي يدخله من شاء ، فجنة الله عالية غالية ، بين الناس وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا به ، فما لِمَنْ أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني ، ولهذه الدار؟ فليَعُد عنها إلى ما هو أولى به ، وقد خلق له وهيء له .

وتأمل ما في سوق الفريقين إلى الدارين زمراً من فرحة هؤلاء بإخوانهم ، وسيرهم معهم كلّ زمرة على حدة ، مشتركين في عمل متصاحبين فيه على

---

(١) في الأصل (دخلوا) وهو خطأ ، وما أثبتناه هو الصحيح .

(٢) في الأصل (وإني) وهو خطأ، وما أثبتناه هو الصحيح.

زمرتهم وجماعتهم ، مستبشرين أقوياء القلوب ، كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير ، كذلك يؤنس بعضهم بعضاً ، ويفرح بعضهم ببعض .

وكذلك أصحاب الدار الأخرىٰ يساقون إليها زمراً ، يلعن بعضهم بعضاً ، ويتأذى بعضهم ببعض ، وذلك أبلغ في الخزي والفضيحة والهتيكة ، من أن يساقوا واحداً واحداً ، فلا تُهمل تَدَبُّر قوله : ﴿ زُمَرًا ﴾ .

وقال خزنة أهل الجنة لأهلها : ﴿ سلامٌ عَلَيْكُم ﴾ ، فبدؤوهم بالسلام المتضمن للسلامة من كلّ شرٍّ ومكروه ، أي : سلمتم ، فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون، ثمَّ قالوا لهم: ﴿طِبْتُمْ فادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ أي: سلامتكم ودخولها بطيبكم ، فإن الله حرمها إلا على الطيبين ، فبشروهم بالسلامة والطيب ، والدخول والخلود .

وأما أهل النار ، فإنهم لما انتهوا إليها على تلك الحال من الهمّ والغمّ والحزن ، و﴿ فُتِحَتْ لَهُمْ أبوابها ﴾ ،ووقفوا عليها وزيدوا إلى ما هم عليه توبيخ خزنتها ، وتبكيتهم لهم بقولهم : ﴿ أَلَمْ يأتِكُم رسلٌ مِنكُم يَتلونَ عليكم آياتِ ربِّكم ويُنذِرونَكُمْ لِقَاءَ يَومِكُمْ هَذا ﴾ [الزمر : ٧١] فاعترفوا وقالوا : بلى . فبشروهم بدخولها والخلود فيها ، وأنها بئس المثوى لهم .

وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها : ﴿ ادخلوها ﴾ : وقول خزنة النار لأهلها : ﴿ ادخلوا أبوابَ جَهَنَّم ﴾ ، تجد تحته سراً لطيفاً ، ومعنى بديعاً لا يخفى على المتأمل وهو : أنها لما كانت دار العقوبةِ ، وأبوابها أفظعُ شيء ، وأشدّ حرّاً ، وأعظم غماً ، يستقبل فيها الداخل من العذاب ما هو أشدّ منها ، ويدنو من الغم والخزي [والحزن] والكربِ بدخول الأبواب . فقيل : ادخلوا أبوابها صَغَاراً لهم، وإذلالاً وخزياً، ثم قيل لهم : لا يقتصر بكم على مجرد دخول الأبواب الفظيعة ، ولكن وراءها الخلود في النار، وأما الجنة فهي دار الكرامة ، والمنزل الذي أعدّه الله لأوليائه ، فبشروا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد، والمنازل والخلود فيها .

وتأمل قوله سبحانه : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ مفتَّحة لهمُ الأبوابُ، متكئينَ فيها

﴿ يَدْعُونَ فيها بفاكهةٍ كثيرةٍ وشرابٍ ﴾ [ص : ٥٠ ـ ٥١] كيف تجد تحته معنى بديعاً ، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق عليهم أبوابها ، بل تبقى مفتحة كما هي .

وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها ، كما قال تعالى : ﴿ إنَّها عَلَيْهِم مؤْصَدَةٌ ﴾ [الهمزة : ٨] أي مطبقة مغلقة ، ومنه سُمي الباب وصيداً وهي : ﴿ مؤصدةٌ في عَمَدٍ مُمَدَّدَة ﴾ قد جعلت العُمُد ممسكة للأبواب من خلفها ، كالحجر العظيم الذي يجعل خلف الباب . قال مقاتل : يعني أبوابها عليهم مطبقة ، فلا يفتح لها باب ، ولا يخرج منها غَمّ ، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد .

وأيضاً ، فإن في تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم ، وذهابهم وإيابهم وتبوئهم من الجنة حيث شاؤوا ، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربّهم ، ودخول ما يسرّهم عليهم كل وقت .

وأيضاً إشارة إلى أنها دار أمنٍ لا يحتاجون فيها إلى غلقِ الأبواب ، كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا .

وقد اختلف أهل العربية في الضمير العائد من الصفة على الموصوف في هذه الجملة .

فقال الكوفيون : التقدير مفتحةً لهم أبوابها ، والعرب تعاقب بين الألف واللام والإضافة ، فيقولون : مررت برجل حسن العين : أي عينه . ومنه قوله تعالى : ﴿ فإنَّ الْجَحِيمَ هِيَ المأوَى ﴾ [النازعات : ٣٩] أي مأواه .

وقال بعض البصريين : التقدير ﴿ مفتحة لهم الأبواب ﴾ منها ، فحذف الضمير وما اتصل به ، قال : وهذا التقدير في العربية أجود من أن تجعل الألف واللام بدلاً من الهاء والألف ، لأن معنى الألف واللام ليس من معنى الهاء والألف في شيء ، لأن الهاء والألف اسم ، والألف واللام دخلتا للتعريف ، ولا يبدل حرف من اسم ، ولا ينوب عنه .

قالوا : وأيضاً لو كانت الألف واللام بدلاً من الضمير لوجب أن يكون في

﴿ مفتحة ﴾ ضمير الجنات ، ويكون المعنى مفتحة هي ، ثم أبدل منها الأبواب ، ولو كان كذلك لوجب نصب الأبواب لكون ﴿ مفتحة ﴾ قد رفع ضمير الفاعل، فلا يجوز أن يرفع به اسم آخر لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد، فلما ارتفع ﴿ الأبوابُ ﴾ دلّ على أن مفتحة خالٍ من ضمير، و﴿ الأبواب ﴾ مرتفعة به . وإذا كان في الصفة ضمير تعين نصب الثاني، كما تقول : مررت برجل حسن الوجه، ولو رفعت الوجه ونونت حسناً لم يجز ، فالألف واللام إذاً للتعريف ليس إلا، فلا بد من ضمير يعود على الموصوف ، الذي هو جنات عدن ، ولا ضمير في اللفظ ، فهو محذوف تقديره : الأبواب منها .

وعندي : أن هذا غير مبطل لقول الكوفيين ، فإنهم لم يريدوا بالبدل إلا أن الألف واللام خلف ، وعوض عن الضمير تغني[1] عنه . وإجماع العرب على قولهم : حسن الوجه، وحسن وجهه شاهد بذلك، وقد قالوا : إن التنوين بدل من الألف واللام بمعنى[2] أنهما لا يجتمعان، وكذلك المضاف إليه يكون بدلاً من التنوين ، والتنوين بدل من الإضافة ، بمعنى التعاقب والتوارد، ولا يريدون بقولهم : هذا بدل من هذا، أن معنى البدل معنى المبدل منه، بل قد يكون في كلّ منهما معنى لا يكون في الآخر .

فالكوفيون أرادوا أن الألف واللام في ﴿ الأبواب ﴾ أغنت عن الضمير . لو قيل أبوابها ، وهذا صحيح ، فإن المقصود الربط بين الصفة والموصوف بأمر يجعلها له لا مستقلة ، فلما كان الضمير عائداً على الموصوف نفى[3] توهم الاستقلال ، وكذلك لام التعريف ، فإن كلاً من الضمير واللام يعين صاحبه هذا يعين مفسره ، وهذا يعين ما دخل عليه . وقد قالوا في يزيد نعم الرجل : إن الألف واللام أغنت عن الضمير . والله أعلم .

وقد أعرب الزمخشري هذه الآية إعراباً اعترض عليه فيه ، فقال :

---

(١) في الأصل (يعني) وهو خطأ .

(٢) في هامش الأصل (يعني) وهو خطأ .

(٣) في الأصل (تعين) والصواب ما أثبتناه .

﴿ جنات عدن ﴾ معرفة، كقوله: ﴿جناتُ عدْنٍ التي وَعَدَ الرحمن عبادَهُ بالغيبِ﴾ [مريم: ٦١]، وانتصابها على أنها عطف بيان ﴿لحسن مآب﴾، و ﴿مفتحة﴾، حال، والعامل فيها ما في ﴿للمتَّقِين﴾ من معنى الفعل، وفي ﴿مفتحة﴾: ضمير الجنات، و ﴿الأبواب﴾: بدل من الضمير، تقديره: مفتحة، هي الأبواب، كقولهم: ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال، هذا إعرابه. واعترض عليه بأن ﴿جناتُ عدنٍ﴾ ليس فيها ما يقتضي تعريفها. وأما قوله: ﴿الَّتي وَعَدَ الرحمٰنُ عِبَادَه﴾. فبدل، لا صفة، وبأن ﴿جنات عدن﴾ لا يسهل أن تكون عطف بيان ﴿لحسن مآب﴾ على قوله، لأن جريان المعرفة على النكرة عطف بيان، لا قائل به، فإن القائل قائلان أحدهما: أنه لا يكون إلا في المعارف، كقول البصريين.

والثاني: أنه يكون في المعارف والنكرات بشرط المطابقة، كقول الكوفيين وأبي علي الفارسي.

وقوله: إن في ﴿ مفتحة ﴾ ضمير الجنات، فالظاهر خلافه، وأن ﴿ الأبواب ﴾: مرتفع به، ولا ضمير فيه.

وقوله: إن ﴿ الأبواب ﴾: بدل اشتمال، فبدل الاشتمال قد صرح هو وغيره أنه لا بدّ فيه من الضمير، وإن نازعهم فيه آخرون، ولكن يجوز أن يكون الضمير ملفوظاً به، وأن يكون مقدراً، وهنا لم يلفظ به، فلا بدَّ من تقديره أي: ﴿ الأبواب ﴾ منها، فإذا كان التقدير: مفتحة لهم هي الأبواب منها، كان فيه تكثير للإضمار، وتقليله أولى.

وفي «الصحيحين» من حديث أبي حازم، عن سهل بن سعد أن رسولَ الله ﷺ قال: «في الجنةِ ثمانيةُ أبوابٍ، بابٌ منها يُسَمَّى الرَّيانُ. لا يَدخلُه إلا الصَّائمونَ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٧) في كتاب بدء الخلق: باب صفة الجنة، ومسلم (١١٥٢) في الصوم: باب فضل الصوم، ولفظه عند مسلم: «إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون، لا يدخل منه غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد».

وفي « الصحيحين » من حديث الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أنفقَ زَوجين من شيء من الأشياءِ في سبيلِ الله ، دُعي مِنْ أبوابِ الْجنَّةِ ، يا عبدَ اللهِ هذا خيرٌ، فمنْ كان من أهلِ الصَّلاةِ دُعي من بابِ الصَّلاةِ، ومنْ كان من أهلِ الْجهادِ دُعي من بابِ الجهادِ، ومنْ كانَ من أهلِ الصَّدقةِ دُعي من باب الصَّدقةِ، ومنْ كان من أهلِ الصِّيامِ دُعي من بـاب الرَّيـانِ »، فقال أبـو بكر : بـأبي أنتَ وأمي يا رسولَ اللهِ ، ما على من دُعي من تلكَ الأبوابِ من ضَرورةٍ، فهل يُدعى أحدٌ من تلكَ الأبوابِ كلِّها، فقال : « نعم، وأرجُو أنْ تكونَ منهم »[1] .

وفي « صحيح » مسلم عن عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] عن النبي ﷺ قال : « ما منكم من أحدٍ يتوضأ فَيُبَلِّغُ أو فيسبغُ الوضوءَ ثم يقولُ : أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، إلا فُتِحَتْ له أبوابُ الْجنةِ الثمانيةُ يَدخلُ من أيِّها شاء » زاد الترمذي بعد التشهد : « اللَّهمَّ اجعلني من التَّوابينَ واجعلني من المتطهرينَ »[2] .

زاد أبو داود، والإمام أحمد : ثم رفع نظره إلى السماءَ فقال[3] :

وعند الإمام أحمد من رواية أنس يرفعه : « من توضأ ، فأحسنَ الوُضُوءَ ، ثم قال ثلاث مرات : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فتح له أبواب الجنة الثمانية، من أيها شاء دخل »[4] .

وعن عتبة بن عبد السلمي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٦) في فضائل الصحابة : باب قول النبي ﷺ « لو كنت متخذاً خليلاً » ، ومسلم (١٠٢٧) في الزكاة : باب جمع الصدقة وأعمال البرّ .

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٤) في الطهارة ، باب الذكر المستحب عقب الوضوء . والترمذي (٥٥) في الطهارة : باب ما يقال بعد الوضوء .

(٣) أخرجه أبو داود (١٦٩) و(١٧٠) في الطهارة : باب (٦٥) ما يقول الرجل إذا توضأ من حديث عقبة بن عامر الجهني نحوه ، وأحمد ١٩/١ .

(٤) أخرجه أحمد ٢٦٥/٣ .

مسلم يُتوفى له ثلاثةٌ من الولدِ لم يبلغوا الحِنْثَ، إلا تلقوه من أبواب الجنةِ الثمانية، من أيِّها شاء دخل » رواه ابن ماجه[1] ، وعبدالله بن أحمد عن ابن نمير، حدثنا إسحاق بن سليمان، حدثنا حريز بن عثمان ،عن شرحبيل بن شفعة ، عن عتبة[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٠٤) في الجنائز : باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده ، وقال في الزوائد: شرحبيل ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال أبو داود: شرحبيل وحريز كلهم ثقات، وباقي رجال الإسناد على شرط البخاري.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «المسند» ٤/١٨٣ عن أبيه، عن إسماعيل بن عمر، وحسن بن موسى، عن جرير، عن شرحبيل به.
ومعنى الحنث: الذنب والإثم.